مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 23 العدد: 4 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2021 ص 33 -46

التأثير المتبادل بين التعليم والعولمة

The mutual influence between education and globalization

مسعودة سليماني*

نعيمة العقريب**

تاريخ الاستلام: 27- 10- 2019 / تاريخ القبـــول: 14- 06- 2021

التعريف الرقمي للمقال: doi 10.33705/0114-023-004-002

ملخّص: يدرس هذا البحث علاقتي التّأثير والتّأثّر المتبادلتين بين التّعليم والعولمة حيث فرضت العولمة بوسائلها التّكنولوجيّة وثورتها المعرفيّة إعادة النّظر في عمليّة التّعليم. ولا يمكن النّظر إلى العولمة باعتبارها شرّا مطلقا لأنّ لها الكثير من الإيجابيات التي نستطيع استثمارها في تطوير قطاع التّعليم وتحسين جودته وبالتّالي مواجهة كل أخطار العولمة الثّقافيّة المحدقة بالهويّة الوطنيّة وأبعادها الحضاريّة.

ويعدّ التّعليم بوابة الهويّة الثّقافيّة والفكريّة ولسّيطرة على الفكر هي بوابة لسّيطرة على سلوك الإنسان وحياته، لذا لابد من انتهاج سياسة وطنيّة مدروسة للنهوض بقطاع التّعليم وبالتّالي النّهوض بالمجتمع والأمّة، لأنّ التّعليم هو قاطرة التّحضر والاستثمار الجيّد المدروس فيه يعني تحقيقَ مستقبل واعد للأمّة واستمرارَ وجودها الثّقافي والحضاريّ عبر الأجيال المتعاقبة.

الكلمات المفتاحيّة: التّعليم، العولمة، العولة الثّقافيّة، التّأثير، الهويّة.

* جامعة مولود معمري تيزي ــ وزو الجزائر، البريد الإلكتروني: slimanimesaouda@yahoo.fr (المؤلّف المرسل)

** جامعة مولود معمري تيزي ـ وزو الجزائر، البريد الإلكتروني: naima_hizia11@yahoo.fr

Abstract: This research examines the nature of the complex relationship between education and globalization. The latter has made obligatory the rethinking of the education process in its form and content because globalization has several advantages that we can invest in developing the education sector and improving its quality. Consequently, we will protect the national identity from the cultural globalization dangers.

Controlling thought is the way to control man's behavior and life. Therefore, it is imperative to draw a well-studied national policy in order to develop the education sector, thus to develop society and the nation as well.

مقدّمة: عرفت المعرفة في عصرنا الرّاهن تطوّرات رهيبة ومتسارعة فرضتها العولمة بوسائلها التّكنولوجيّة وثورتها التّواصليّة حتى أصبح العالم قريّة صغيرة. وقد أفرز هذا الأمر جملة من التّحديات أمام بلدان العالم الثّالث على جميع الأصعدة الثّقافيّة والاجتماعيّة ولسّياسيّة ...إلخ.

ويعدّ قطاع التّربيّة والتّعليم من بين القطاعات الحسّاسة والخطيرة نظرا لارتباطه بثقافة الأمّة وشخصيتها الوطنيّة وسيادتها الثّقافيّة، لأنّ التّربيّة هي الوسيلة النّاجعة لإعادة إنتاج الثّقافة عبر الأجيال المتعاقبة من المتعلّمين والنّاشئة. لذا سنحاول في هذا البحث تشريح مختلف التّأثيرات المتبادلة بين التّعليم والعولمة من خلال محاولة الإجابة عن إشكاليّة العلاقة الجدليّة بينهما، أي كيف يؤثّر أحدهما في الآخر؟

وانطلقنا في ذلك من جملة من الفرضيات هي:

ـ تؤثّر العولمة سلبا وإيجابا في التّعليم؛

ـ يكون تأثير العولمة في التّعليم على مستوى المناهج واختيار المحتوى التّعليمي وتطوّر الوسائل التّعليميّة؛

ـ يؤثّر التّعليم الجيد في العولمة بمنع تأثيرها لسّلبي على الثّقافة الوطنيّة.

وعليه نهدف من هذا البحث إلى تحديد مجالات التّأثير لسّلبيّ بين التّعليم والعولمة لتفاديها، وتحديد مجالات التّأثير الإيجابي بينهما لاستثمارها، وكان ذلك حسب المنهجيّة الآتيّة:

ـ تحديد المفاهيم؛

ـ تأثير العولمة في التّعليم؛

ـ تأثير التّعليم في العولمة.

1ـ تحديد المفاهيم: قبل الحديث عن علاقة التّأثير المتبادل بين التّعليم والعولمة نقدّم تحديدا لمصطلحي التّعليم والعولمة، حيث يعرّف التّعليم بأنّه "التّصميم المنظّم المقصود للخبرة (الخبرات) التي تساعد المتعلّم على إنجاز التّغيير المرغوب فيه في الأداء، وبذلك يعني التّعليم إدارة عمليّة التّعلّم التي يقودها المعلّم[1]"، ويكون التّعليم في مجتمع معيّن لذا يتأثر بكلّ ما يوجد في هذا المجتمع. أمّا العولمة Mondialisation فقد تعدّدت تعاريفها وتنوّعت حتى أنّنا لا نكاد نجد تعريفا واحدا يُجمِع عليه الدّارسون، ومن ذلك: تعني العولمة " تعميم نمط من الأنماط الفكريّة أو لسّياسيّة أو الاقتصاديّة الذي تختص به جماعة معيّنة أو نطاق معيّن أو أمّة معيّنة على العالم كلّه [2]" وينتج عنها سرعة كبيرة في المستجدات العالميّة. وهي ترتبط بانتشار المعلومات بين جميع النّاس، وزيادة معدّلات التّشابه بين المجتمعات والمؤسّسات وتذويب الحدود بين الدّول فيصبح العالم كلّه قريّة صغيرة، وتعتمد في تحقيق ذلك بدرجة أساس على تكنولوجيا الاتّصال والتّواصل.

تختلف العولمة عن العالميّة Universalité حيث تهدف العالميّة إلى التّفتح على ما هو عالمي وتنزع العولمة نحو احتواء العالم. فهي ـ أي العولمة ـ مثل الاستعمار ولا تختلف عنه إلاّ في أساليب ووسائل الهيمنة ولسّيطرة، باعتبارها جذّابة وبرّاقة تجعل الآخر يتقبّلها بسهولة بل ويطالب بها أيضا. ولا زالتّ العولمة في طريق النّموّ لذلك تبقى الأهداف القصوى التي ستصل إليها لاحقا غير معروفة.

إنّ تمرير العولمة بطريقة لا تثير ثورات أو مواجهات يتطلّب استغلال واستثمار الجانبين لسّياسيّ والإيديولوجي وكل ما يساعد على التّضليل مثل لسّينما والمسرح والتّعليم وغيرها

بهدف إنتاج فكر متماهٍ مع الثّقافة الاستهلاكيّة. ولا يمكن لأي شخص أو شعب أن يوقف العولمة برفضها رفضا مطلقا فهي جارفة نحو مقاصدها بوتيرة سريعة لذا لم يبق أمامنا إلاّ البحث عن استراتيجيات التّعامل معها بأخذ إيجابياتها وتفادي سلبياتها الظّاهرة منها والمتخفيّة وراء بريق زائف، فهي تعصرن القطاعات الإنتاجيّة والتّسويقيّة وتحسّن الأداء والإنتاجيّة وتبعث بروح الحداثة في المجالات الاجتماعيّة والفكريّة. ويكون هذا الانتقاء بالتّعامل الوظيفيّ مع لغتها ووسائلها التّكنولوجيّة الحديثة دون أن نغفل عن أنّ العولمة "نظام شامل ولا يمكن الاكتفاء بالتّعامل معها بانتقائيّة دون بذل أي مجهود لتطوير الذّات وتجديد الثّقافة وتحديث التّراث [3]" إذ لا يمكن الصّمود أمام تيارها والتّعامل معه بإرادة تامّة دون تحصّن وتسلّح، فالقويّ لا يواجهه إلاّ قويّ مثله.

تركّز العولمة اهتمامها على التّربيّة لأنّ التّربيّة هي وسيلة إعادة إنتاج الثّقافة من خلال الأجيال الجديدة حيث تشكّل شخصيتهم وتدمجهم في ثقافة مجتمعهم، ولسّيطرة على التّربيّة تعني تشكيل شخصيات على المقاس المطلوب ولا سيما أنّ العولمة تستهدف الفئة العمريّة الصّغيرة والشّابة لأنّها الفئة الكبرى التي لم تتحصّن بعد بالثّقافة الوطنيّة ممّا يسهّل عمليّة استيلاب فكرها. والعولمة الثّقافيّة هي الهدف الرّئيس للعولمة، وما البدء بالعولمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة ولسّياسيّة إلاّ لأنّ التّأثير في العناصر الماديّة يكون أسهل وأسرع منه مع العناصر الفكريّة التي تستغرق وقتا أطول. لكنّ "استمرار عولمة العناصر الماديّة يتوقف على حدوث تغيّرات في الفكر الجمعي للثّقافة، كي تصبح العناصر الماديّة جزءا من البناء الاجتماعي القائم [4]"، فبقاء العناصر الماديّة الجديدة مرهون بقبول المجتمع لها ولا يكون ذلك ما لم تتمشَى مع فكره وثقافته.

إنّ من أخطر تجليات العولمة وأبعادها ما يعرف بالعولمة الثّقافيّة أو عولمة الثّقافة؛ التي تعرّف بأنّها "عبارة عن تعميم الأفكار والقيم والمعارف وتدويلها، بحيث تنتشر في العالم كلّه، وتكون كالثّقافة المشتركة بين سائر المجتمعات [5]". وتعرّف أيضا بأنّها "محاولة مجتمع تعميمَ نموذجه الثّقافيّ على المجتمعات الأخرى من خلال التّأثير على المفاهيم الحضاريّة والقيّم الثّقافيّة والأنماط لسّلوكيّة لأفراد هذه المجتمعات بوسائل سياسيّة واقتصاديّة وثقافيّة وتقنيّة متعددة [6]". انتشرت ثقافة العولمة انتشارا واسعا، أمّا الثّقافة العالمة فيمنع

انتشارها طبعا وتبقى حكرا على أمريكا وبالتّالي تكون عولمة الثّقافة هي احتكار أمريكا للثّقافة العالمة وتصدير ثقافتها المنحطّة إلى كلّ بلدان العالم.

أمّا المقصود بعولمة نظم التّربيّة في البلاد العربيّة فهي "تعميم أنماط نظم تعليم أو نظم تربيّة الدّول الغربيّة، وخصوصا الأمريكيّة، على البلاد العربيّة بشتى الأساليب والوسائل (الصّريحة والضّمنيّة، الطّوعيّة والقهريّة) لجعلها نسخا مكرّرة لما هو سائد في الدّول الرّأسماليّة الكبرى، نهجا وأسلوبا، شكلا ومضمونا ونتائج[7]" وتصبح بذلك مؤسّسة هي الأخرى لقواعد العولمة وناشرة لها من أجل إنتاج النّظام الرّأسماليّ العالميّ الجديد في البلدان العربيّة والوصول إلى خلق شخصيّة المواطن العالميّ الذي لا ينتمي إلى مجتمعه الأصليّ بقدر ما ينتمي إلى المجتمع العالميّ الجديد.

1. **تأثير العولمة في التّعليم:** يرى كارنوي أنّ التّغيّرات التّعليميّة تحت تأثير العولمة مختلفة كثيرا من منطقة إلى أخرى رغم وجود القواسم المشتركة، ولذلك يرى ديل وروبرتسون أنّه يجب أنّ ينظر إلى التّعليم في محتواه وسياسته الإداريّة من اعتبارات إقليميّة المنشأ، ومن الكيفيّة التي تعدّل هذه المناطق سياساتها التّعليميّة تمشّياً مع عمليّة العولمة. ويضيفان أن أجندة التّعليم ذات المنشأ العالميّ تتسع بشكل مطّرد، في حين أنّ الالتّقاء والتّوافق بين الممارسات أو لسياسات القوميّة لم يحظَ بالاتساع ذاته[8]. ويمكن تلخيص نقاط تأثير العولمة في التّعليم في ما يلي:

❖ نجحت ثقافة العولمة في اختراق النّظام المدرسيّ حيث استطاعت أنّ تجعل البعد الحسيّ للإدراك الملكةَ التّربويّة الأساس المقصودة بالتّنميّة. ويكون ذلك عن طريق تغذيتها وإشباعها بالصّورة لسّمعيّة البصريّة وهذا ما سيؤدي في النّهاية إلى توجيه الجانب الوجداني والانفعالي عند المتعلّمين. "إنّ "تربيّة الإدراك" هو وسيلة إجرائيّة لبلوغ التّحكّم في الشّخصيّة من خلال التّحكّم في البعد الوجدانيّ، وضبط الرّغبات والميول والاتجاهات، حتى يتم توجيهها نحو تبنّي قيم فكريّة وسياسيّة محدّدة؛ وأيضا نحو استهلاك أنماط معيّنة من لسّلع والبضائع "الثّقافيّة" والإشهاريّة[9]" وهذا ما يفسّر الاهتمام بالجانب الوجدانيّ في المقاربة التّربويّة الجديدة (المقاربة بالكفاءات) في خضم الإصلاح التّربويّ، حيث أصبح المنهج ذلك "النّسق المتكامل من الجوانب المعرفيّة والوجدانيّة والمهاريّة للأهداف والمحتوى

وطرائق التّدريس والوسائل والنّشاطات المصاحبة وأساليب التّقويم، الذي تقدّمه المدرسة على شكل خبرات مربيّة، لمساعدة الطّلبة في تنميّة جوانب الشّخصيّة كافة لديهم[10]" الجسميّة والعقليّة، والاجتماعيّة، والانفعاليّة، فيكون المنهج بذلك كلاّ متكاملاً؛

❖ انتشرت التّقانة الحديثة وتفوّقت وسائل الاتصال متعدّد الوسائط Multimedia على الوسائل التّعليميّة التّقليديّة، ممّا يجعل التّعليم التّقليديّ منفّرا ومملاً، لكنّ هذه التّقانة والوسائل الحديثة تحمل في طياتها قيمَ ورموز العولمة وتوجّه أذواق وأفكار وسلوكات الأفراد وجهة ترضاها هذه الأخيرة. فهي وسائل جذّابة يتعلّق بها مستعملوها إلى درجة الإدمان ليلعب بذلك التّكرار دور ترسيخ الرّسائل الضّمنيّة لها وتثبيتها؛

❖ إنّ الدّول التي تعتمد على الجدوى الاقتصاديّة والعائد المباشر تنظر إلى التّعليم على أنّه مجال للإنفاق، أمّا كونه استثمارا بعيد المدى وعاملا من عوامل التّنميّة فلا يأخذ الدّرجة اللاّزمة من الاهتمام، مع أنّ التّعليم يعتبر الوسيلة الأساس لأيّ تطوّر أو تنميّة على المدى البعيد، ولا يمكن تحقيق أيّ تقدّم أو ازدهار من دونه؛

❖ يعمل النّظام الاقتصاديّ الجديد على خوصصة كلّ القطاعات ومنها التّعليم وتتسبّب الدّولة في توجّه الأفراد نحو المؤسسات التّعليميّة المخوصصة بسبب عدم تهيئة الظّروف الجيّدة في التّعليم الحكوميّ وبالتّالي إشاعة فكرة ضعف التّحصيل العلميّ في هذا التّعليم. وبسبب هذه الخوصصة يتقلّص دور الدّول تدريجيّا في تحديد المناهج والأهداف التّربويّة ويتحقّق مُراد ناشري العولمة الذين "يحاولون إبقاء الجماهير في وضع يكرّس سيطرتهم: تعلّم كيف تنتج وتستهلك وتحترم المؤسّسات القائمة. فالتّراجعات المسجّلة تتمّ على حساب المعارف والمهارات التي تمكّن من فهم العالم ومن لسّعي إلى تغييره. فالمستغَّلون هم من يتم حرمانهم بدرجة كبيرة من حقهم في امتلاك سلاح ثقافيّ هم في حاجة ماسة إليه من أجل تحرّرهم الاجتماعيّ. وسوف تبقى المدرسة العموميّة مكانا للتنشئة الاجتماعيّة للفئات التي لا تمثل سوقا مربحة، وهذا أقصى ما يمكن أن تقدّمه لوالجيها[11]" ليبقى القويّ مسيطرا إلى الأبد والضّعيف مستعبدا إلى الأبد كذلك؛

❖ تتناقض في أحيان كثيرة المعرفةُ والقيّم التي تريد المدرسة إيصالها وترسيخها في المتعلّمين مع تلك التي تنقلها وسائل الإعلام التي لا تملكها غالبا مؤسّسات وطنيّة والغلبة طبعا للأكثر إغراءً خصوصا مع صغار السّن في ظلّ غياب الرّقابة الأسريّة؛

❖ ترى الكثير من الأنظمة التّربويّة ضرورة التّدريس باللّغة العالميّة والعالمة وهي الإنكليزيّة، ويكون ذلك طبعا على حساب التّدريس باللّغات الأمّ التي تهمَّش وتهمَّش معها ثقافات بشريّة لا تقدّر خسارتها بثمن، ولذلك اندثرت عدّة لغات في العالم، ومازال الأمر متواصلا؛

❖ أصبحنا نتكلّم عن إصلاح التّعليم والأنظمة التّربويّة لتساير التّغيّرات الاقتصاديّة ولسّياسيّة والاجتماعيّة ويكون ذلك بربط التّعليم بالمحيط الاجتماعيّ والاقتصاديّ وتطوير المناهج التّربويّة، والاستفادة من وسائط المعلوماتيّة والاتّصال، وخوصصة المؤسّسات التّعليميّة ممّا يعني أنّ وراء ذلك نجد ضرورة ملاءمة الأنظمة التّعليميّة مع المتطلّبات الجديدة للاقتصاد الجديد وهو اقتصاد رأسماليّ معولم بطبيعة الحال، أي يعني تبضيع الخدمة التّعليميّة وجعلها من أهم الواجهات المستقبليّة للاستثمار الرّأسمالي. وتحويل العلم إلى بضاعة يفقده الكثير من معانيه الرّاقيّة وأدواره العظيمة فهو النّور وضدّه الظّلام ومن الإجحاف الكبير تحويله إلى وسيلة للكسب المادي فحسب؛

وقد اشترط القائمون على صندوق النّقد الدّوليّ على الدّول تعديل مناهجها التّربويّة مقابل الحصول على القروض الماليّة الموجّهة إلى التّجهيزات التّربويّة ومن أمثلة هذه التّعديلات حذف الآيات القرآنيّة الدّاعيّة إلى الجهاد من الكتب المدرسيّة بزعم أنّها تسهم في التّعصّب الدّيني وتقف حاجزا أمام تحقيق لسّلام العالميّ؛

❖ تقف المؤسّسات التّعليميّة عاجزة عن إيصال كلّ المعرفة للمتعلّمين نظرا للانفجار المعرفيّ الحالي لذا سيقتصر دورها على إعطاء مفاتيح المعرفة وأساسيات التّعلّم للمتعلّمين الأمر الذي يتطلّبه مستقبلهم الوظيفيّ، ويكون ذلك بالانتقال من منطق التّعليم إلى منطق التّعلّم بجعل المتعلّم مشاركا فاعلا في العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة. كما تَبْرُز ضرورة التّعليم الإلكتروني بهدف مواكبة الجديد على مستوى التّقانة والاتّصالات من أجل تطوير العمليّة

التّعليميّة التّعلميّة، وتنميّة مهارات استخدام الأجهزة الحديثة من قبل المعلّم والمتعلّم على حدّ سواء.

ولا يمكن أنّ نغفل في هذا الصّدد أنّ عولمة البلاد العربيّة تقف حجر عثرة أمام عولمة العالم، لأنّها تملك حضارة عريقة وتحمل رسالة دينيّة صالحة لكل الأزمنة والأمكنة " وظلّت حضارتها تتمتّع بقدرتها على استيعاب الجديد النّافع، والتّعايش مع (الآخر) مهما كان دينه ولونه ولغته، باعتبار ذلك واجبا دينيا قبل أنّ يكون واجبا إنسانيا وأخلاقيا[12]". لكنّ الأمر لن يبقى إلى الأبد على هذا الحال إذا بقيت وسائل العرب في الدّفاع عن خصوصياتهم نفسها في حين تُعدِّد وتطوّر العولمةُ من وسائلها ووجوهها. وهنا يأتي دور التّعليم الذي رأينا الآن تأثّره بالعولمة، حيث يؤثّر هو الآخر فيها كما يوضّحه العنصر الآتي:

2. **تأثير التّعليم في العولمة:** لم تقتصر وظائف المؤسّسات التّربويّة والتّعليميّة قديما أو حديثا على تقديم المعرفة بل هدفت دائما إلى تكوين شخصيّة الأجيال المتعاقبة والمحافظة على الهويّة والثّقافة الوطنيّة، فالتّربيّة "عمليّة تواصل وتفاعل بين الأجيال الاجتماعيّة الرّاشدة التي تسعى إلى ترسيخ قيمها لدى الأجيال اللّاحقة[13]" وعليه لا يمكن للأنظمة التّربويّة التّقليديّة أنّ تقدّم إجابات عن أسئلة أوجدتها تحدّيات جديدة ومعاصرة كما لا يمكن لها إعادة إنتاج القيم المحليّة في زمن أصبح فيه العالم بأسره قريّة صغيرة لذلك تُفرض الإصلاحات التّربويّة بين الحين والآخر.

إنّ النّهضة الحقيقيّة في أيّ مجتمع من المجتمعات لا تكون إلاّ بالنّظر المستمر في المناهج الدّراسيّة قصد تحيينها وتطويرها، لأنّ التّعليم هو الكفيل بالتّحكّم في مسار التّنميّة وهو الرّاسم لخريطة المستقبل، ولا يوجد تطوّر ولا تقدّم لأيّ شعب كان دون تعليم جيّد ونافع.

لذا وجب إصلاح الأنظمة التّربويّة التّعليميّة بإدماج التّقانة الحديثة الخاصّة بمجال الاتّصال في ميدان التّعليم كوسائل تعليميّة، والتّفتّح على العصر الحاليّ ومتطلباته لإدماج قيم الحداثة في المناهج الدّراسيّة.

ولتحقيق ذلك ينبغي دراسة المنهاج بمفهومه الشّامل ولكلّ عناصره وأبعاده، أهدافا ومحتوى، وتقويما وطريقة تدريس، وفي مجال تخطيط وتطوير مناهج العلوم وتأليف الكتب المدرسيّة لا بد من الاهتمام بالغايات الأربع لتدريس العلوم التي تتّفق مع مبادئ تقرير

اليونسكو للتّربيّة في القرن الحادي والعشرين وهو أنّ التّعليم يجب أنّ يقوم على المبادئ الأربعة التّاليّة: تعلّم لتعرف (كيف تعرف وليس ماذا تعرف) / تعلّم لتعمل / تعلّم لتعيش وتشارك مع الآخرين / تعلّم لتكون[14].

كما يجب أن نسعى إلى جعل المناهج تستوعب المفاهيم المتعلّقة بالعولمة مثل الهويّة الثّقافيّة، التّعاون الدّوليّ، القريّة الكونيّة، حقوق الإنسان، لسّلام العالميّ الأصالة والمعاصرة.....إلخ. كما نجعلها تبرز الهويّة الثّقافيّة عند المتعلّمين وتدرّب المتعلّمين على تقييم الظّواهر بالأخذ في الحسبان كلّ الأبعاد وتجاوز شكل الأشياء وبريقها إلى مضامينها وخفاياها؛ وتنمّي القيم والاتّجاهات الإيجابيّة المطلوبة من أجل إعداد الفرد لمواجهة تحدّيات العولمة؛ وتواكب آخر منجزات الفكر الإنساني، فعنصرا الأصالة والمعاصرة عنصران متلازمان في العمليّة التّربويّة ومن الخطأ إغفال أيّ منهما.

وتتمثّل الغايات الجديدة للتّربيّة على ذلك فيما يلي:

ـ التّأكيد على مسألة التّعلّم الذّاتي لمواجهة تغيّرات العصر؛

– تهيئة الفرد للولوج إلى مرحلة المواطنة العالميّة وهي الشّعور بالانتماء إلى مجتمع يتعدّى الحدود الجغرافيّة للوطن، ويظهر النّقاط المشتركة بين الأفراد ويستمدّ قوته من القواسم المشتركة بين ما هو وطنيّ وما هو دوليّ؛

ـ انفتاح المؤسّسات التّعليميّة على عالم الإنتاج واقتصاد المعرفة.

وعليه تكون غايات التّربيّة المستقبليّة في عصر العولمة قائمة على أساس إكساب المعرفة والتّكيّف مع المجتمع، والعمل على إعداد أفراد ذوي قدرات شخصيّة يستطيعون بها مواجهة مشاكل الحياة ومتطلباها في خضم العولمة.

– تطوير المناهج التّربويّة واحتوائها على قضايا الوقت الرّاهن بالتّركيز على ما هو متعارض منها مع القيم العربيّة والإسلاميّة للمجتمع من أجل التّنبيه عليه والتّحذير منه ومعرفة سبل تفادي؛

– التّأكيد على تعزيز مكانة اللغة العربيّة في نفوس المتعلّمين والابتعاد عن التّدريس بالعاميات، فاللغة العربيّة الفصحى هي عامل توحيد بين الأقطار العربيّة وهي عامل أساس

في استمرار الثّقافة العربيّة لأنّ اللّغة هي حامل تراث الأمّة وثقافتها. ويكون هذا طبعا دون تقوقع وانغلاق على الذّات فـ "الحفاظ على الهويّة لا يعني الجمود في إطار من الموروث القديم، بل هو عمليّة تتيح للمجتمع أن يتغير ويتطور دون أن يفقد هويته الأصليّة، وأنّ يتقبل التّغيير دون أنّ يغترب فيه، إنه التّفاعل بين الأصالة والمعاصرة وإنّه التّفاعل بين الإيجابي البنّاء من الثّقافات الأخرى وما يتفق مع مناخنا وأرضنا وتربيتنا". ويكون أيضا بالعمل على تحقيق القدرة على التّكيّف مع المستجدات المتسارعة والتّعامل معها بسرعة وكفاءة، والحصول على متعلّم مبدع محسن للتّعامل مع التّكنولوجيا الحديثة قصد حلّ المشاكل الحياتيّة التي ستواجهه مستقبلا.

ونضرب هنا مثالا وهو دولة اليابان التي كثيرا ما يضرب بها المثل في الأمور الإيجابيّة، حيث إنّها تأخذ من أنظمة التّعليم الأجنبيّة مع تمسّك كبير بأصالتّها وهي من أكثر البلدان سعيا نحو جلب الأفكار من خارج حدودها لحلّ مشاكلها التّعليميّة، وأسرعها تكيّفا وملاءمة مع ما تراه ذا فائدة ونفع لها. كما أنّها تسعى دائما إلى بعث روح التّطوير والابتكار لدى المتعلّمين بالاعتماد على أسرهم التي تسأل الأبناء بشكل يوميّ عن "الكايزن" أو التّطوير المستمر الذي تعلموه في كلّ يوم. ويهدف التّعليم المستقبلي في اليابان إلى الانفتاح على المجتمع الدّولي ومواكبة المتغيّرات الدّوليّة.

ولقد أكد توفلر في كتابه (مدارس المستقبل) في العام 1970، وفي كتابه (صدمة المستقبل) في العام 1975، وفي كتابه (الموجه الثّالثّة) في العام 1981، أنّ دراسة المستقبل أساسيّة لفهم الحاضر وإدارة أزمانه، ودعا إلى تغيير جذري في أهداف التّعلم ومضامينه ليتعلّم الإنسان كيف يفكّر وليس فيما يفكّر، ويتعلّم كيف يتعامل مع التّغير لسّريع وما يصاحبه من غموض وعدم وضوح بل وفوضى في بعض الأحيان. وقال: في العالم التّقاني الجديد سوف تتعامل الآلات مع المواد بينما يقتصر تعامل الإنسان مع المعلومات والأفكار. ومن المهم هنا التّنويه بما قامت به المملكة العربيّة لسّعوديّة في مجال تطوير المناهج، حيث أسّست مشروعا شاملا لتطوير مناهج التّعليم، وأنشأت مشروع المناهج الرّقميّة بهدف الرّبط بين جديد الفكر التّربويّ واستخدام التّقنيّة الحديثة في مجال التّعليم. كما عزّزت مشروع البرنامج الوطنيّ (وطني نت).

ويجب أن يأخذ التّعليم العاليّ القدر الكافي من الاهتمام، فالجامعات تسعى إلى تحقيق أهداف عامّة ثلاثة هي: التّعلّم والبحث وخدمة المجتمع. ويعدّ البحث العلميّ من أهم أركان الجامعات ومقياسا لمستوياتها العلميّة والأكاديميّة وهو لسّبيل للتّغيير والتّطوير. لذا وجب ربط البحث العلمي بحاجة المجتمع والاعتماد عليه في تجسيد خطط التّنميّة.

خاتمة: إنّ العولمة قدر محتوم لا مفر منه نتيجة للثورة المعرفيّة والعلميّة الرّهيبة التي يشهدها عالمنا المعاصر، فلا فائدة من رفضها رفضا مطلقا وإخفاء رأسنا كالنّعامة في الرّمل، بل لابد من التّعامل مع معطياتها والتّكيّف مع شروطها وفق استراتيجيّة مدروسة وتخطيط مستقبليّ شامل حتى نستطيع أن نستثمر ونستفيد من نتائجها ووسائلها في تطوير التّعليم وجعله قطاعا فعّالا يسهم في تطوّر المجتمع ويعمل على الحفاظ على هويته الثّقافيّة وشخصيته الحضاريّة لأنّ أخطر وجه للعولمة وأشدّها تأثيرا هو العولمة الثّقافيّة التي يجب أن نتعامل معها بوعي ونضج كبيرين.

ويمكن -في هذا الإطار-أنّ نستثمر إيجابيات العولمة للنّهوض بهذا التّحدي، فالعولمة سيف ذو حدين تتوقف نتائجه على طريقة استعماله. وللنهوض بجودة قطاع التّعليم في بلداننا لابد من المبادرة بشجاعة إلى إجراء جملة كبيرة من الإصلاحات والتّغييرات حتى نواكب المستجدات العالميّة، ولنا في التّجربة اليابانيّة خير قدوة يمكن أنّ نحتذي بها فهي تجربة عقلانيّة جمعت بين الأصالة والمعاصرة بروح من الإبداعيّة والانسجام وحقّقت نتائج باهرة.

خلصنا في هذا البحث إلى جملة من النّتائج نوجزها في النّقاط التّاليّة:

-إنّ أهم تحدٍ يواجهه التّعليم في بلداننا العربيّة هو الرّبط بين احتياجاتنا الوطنيّة في ميدان التّربيّة والتّعليم ومسايرة أشكال التّقدّم الدّوليّ العلميّ فلا بدّ من المبادرة بالإصلاحات اللاّزمة وصياغة رؤيّة مستقبليّة واضحة مع مراعاة الخصائص المحليّة والثّقافيّة، وفي الوقت نفسه مواكبة المستجدات العالميّة المتسارعة، وتوسيع إطار التّعاون بين بلداننا العربيّة عبر التّواصل بين الجامعات ومراكز البحث والمراكز الدّوليّة، وتبني مقترح الجامعة الافتراضيّة العربيّة؛

-لم تعد المدارس والجامعات هي المصدر الوحيد للمعرفة بل دخلت المواقع الافتراضيّة على الخط عبر برامج جذّابة وطرق فيها الكثير من الكفاءة والمردوديّة لاسيما مع تردي التّعليم

الحكوميّ مقابل بروز القطاع الخاص، ويشكّل هذا الأمر تهديدا صريحا لمستقبل الجامعات الوطنيّة في ظل التّنافسيّة الكبيرة مع الجامعات المفتوحة والتّعليم عن بعد؛

–لابد من ضرورة استثمار نتائج الثّورة التّكنولوجيّة والاتّصالات في زيادة تحسين قطاع التّعليم وعدم تركه نهبا لبعض المؤسّسات الدّوليّة التي توظّفها أذرع العولمة الضّاغطة لخدمة أهدافها الاستراتيجيّة مثل صندوق النّقد الدّوليّ الذي يستغل الأوضاع الاقتصاديّة لسّيئة لبلدان العالم الثّالث لإملاء شروطه في قطاع التّعليم والتّدخل في محتوى البرامج الدّراسيّة؛

–قبل أنّ نتعامل مع أي ظاهرة لابد أنّ نفهم قوانينها وماهيتها فبدلا من الهرولة إلى عولمة التّعليم لابد أوّلا أن نتّجه نحو تعليم العولمة، فيفهم المتعلّم ماهيتها وآليات التّعامل معها وتهديداتها وإيجابياتها حتى يستطيع أن يتعامل معها بشكل فعّال ومناسب، فيغير الإنسان نظرته لذاته ولموقعه في الكون ولعلاقته مع الآخر بوعي كبير وعميق عن طريق فهم قوانين العالم وأدواته التي تصنع الأحداث وتسيّرها صانعةً مستقبل الدّول والأمم؛

–إنّ أهم تحدٍ تفرضه العولمة على العالم العربي هو تهديد ثقافته أي العولمة الثّقافيّة التي لا يمكن تجاوز أزمتها إلاّ باتّخاذ جملة من الإجراءات الواعيّة والمدروسة التي تفتح المجال لحريّة البحث العلميّ وتأهيل الكوادر واحترام عقل المتعلّم مع تمكينه من أدوات الاستيعاب النّاقد للمعلومات وتنميّة روح الابداع لديه.

قائمة المراجع:

- **المؤلّفات:**

ـــأحمد علي الحاج محمّد، العولمة والتّربيّة آفاق مستقبليّة، ط1، (وزارة الأوقاف والشّؤوون الإسلاميّة، قطر: 2011) .

ـــمجدي عزيز إبراهيم، معجم مصطلحات ومفاهيم التّعليم والتّعلّم، ط1، (عالم الكتب. القاهرة: 2009).

ـــمحمّد علي حبيب الموسوس، المناهج الدّراسيّة المفهوم الأبعاد المعالجات، ط1، (دار ومكتبة البصائر، بيروت: 2014).

- **المقالات:**

ـشاكر عبد مرزوك، العولمة والمناهج الدّراسيّة، مجلة الفتح، ع 33، بغداد، 2008.

- **مواقع الانترنيت:**

- بوقنادل عبد اللّطيف، تطوير المناهج الدّراسيّة في عصر العولمة، (1997) http://www.inst.at/trans/22 (تاريخ التّصفّح 2019/10/07)

- ديل روزيرو، العولمة وتأثيرها على التّعليم (2009)، ترجمة فضل جبران http://www.edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.thtml?id=408 (تاريخ التّصفّح 2019/07/15)

- كريم أعا، التّعليم والعولمة الحوار المتمدّن، (دت) http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=565461&r=0 (تاريخ التّصفّح 2019/10/07)

-عبد الله الخياري، التّعليم وتحديات العولمة، (دت) https://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n12_05khiyari.htm (تاريخ التّصفّح 2019/10/27)

الهوامش:

[1]-مجدي عزيز إبراهيم، معجم مصطلحات ومفاهيم التّعليم والتّعلّم، ط1، عالم الكتب القاهرة 2009 ص399.

[2]-نفسه، ص747.

[3]- عبد الله الخياري، التّعليم وتحديات العولمة https://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n12_05khiyari.htm، تاريخ التّصفّح: 2019/08/27.

[4]-أحمد علي الحاج محمّد، العولمة والتّربيّة آفاق مستقبليّة، ط1، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة قطر، 2011. ص64.

[5]-بوقنادل عبد اللّطيف، تطوير المناهج الدّراسيّة في عصر العولمة http://www.inst.at/trans/22 تاريخ التّصفح 2019/10/07

[6]-نفسه.

[7]-أحمد علي الحاج محمّد، العولمة والتّربيّة آفاق مستقبليّة، ص45.

[8]- ينظر: ديل روزيرو، العولمة وتأثيرها على التّعليم، ترجمة فضل جبران http://www.edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.thtml?id=408 تاريخ التّصفّح 2019/07/15

[9]- عبد الله الخياري، التّعليم وتحديات العولمة https://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n12_05khiyari.htm تاريخ التّصفّح 2019/10/27.

[10]-محمّد علي حبيب الموسوس، المناهج الدّراسيّة المفهوم الأبعاد المعالجات، ط1، دار ومكتبة البصائر بيروت، 2014، ص ص 53، 54.

[11]- كريم أعا، التّعليم والعولمة الحوار المتمدّن http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=565461&r=0 تاريخ التّصفّح 2019/10/07.

[12]-أحمد علي الحاج محمّد، العولمة والتّربيّة آفاق مستقبليّة، ص60.

[13]-ينظر: شاكر عبد مرزوك، العولمة والمناهج الدّراسيّة، مجلة الفتح، ع 33، بغداد، 2008.

[14]-بوقنادل عبد اللّطيف، تطوير المناهج الدّراسيّة في عصر العولمة http://www.inst.at/trans/22 تاريخ التّصفح (2019/10/07)